

أضواء البيان

@ 159 @ نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه . . .
ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له : (أما والله لأبدلنك
بالدنيا ناراً تلظى ، لو عرفت أن ذلك إليك ما عبت إليها غيرك) . . .
وقد تمحل الناس ؟ أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل
بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه ، فقل : إن كان للرحمن . ولد في زعمكم فأنا أول
العابدين الموحدين المكيدين قولكم لإضافة الولد . إليه اله الغرض من كلام الزمخشري . . .
وفي كلام هذا من الجهل بالمشدة الجراءة عليه ، والتخبط والتناقض في المعاني اللغوية
ما الله عالم به . . .
ولا أظن أن ذلك يخفى على عاقل تأمله . . .
وسنبين لك ما يتضح به ذلك فإنه أولاً قال : إن كان للرحمن ولد وضح ذلك ببرهان صحيح
توردونه حجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته ،
والانقياد له كما يعظم الرجل ، ولد الملك لتعظيم أبيه . . .
فكلامه هذا لا يخفى بطلانه على عاقل ، لأنه على فرض صحة نسبة الولد إليه ، وقيام البرهان
الصحيح والحجة الواضحة على أنه له ولد ، فلا شك أن ذلك يقتضي ، أن ذلك الولد لا يستحق
العبادة ، بحال ، ولو كان في ذلك تعظيم لأبيه ، لأن أباه مثله في عدم استحقاق العبادة
والكفر بعبادة كل والد وكل مولود شرط في إيمان كل موحد ، فمن أي وجه يكون هذا الكلام
صحيحاً . . .
أما في اللغة العربية فلا يكون صحيحاً أبته . . .
وما أظنه يصح في لغة من لغات العجم فالربط بين هذا الشرط وهذا الجزاء لا يصح بوجه . . .
فمعنى الآية عليه لا يصح بوجه ، لأن المعلق على المحال لا بد أن يكون محالاً مثله .